كوسكار للنشر
الإلكتروني

مُفارَقات

نصوص قصصية

عبد الرحيم بن العبالي

مفارقات

نصوص قصصية

عبد الرحيم بن المبارك

كوسكار للنشر الإلكتروني

2024

إهداء

إلى بائع الشاي أبي رحمه الله..

إلى كل الفقراء الشرفاء..

فرصة العمر

فكن في هذه الدنيا كضيف وكل مما يليك ولا تعدَّى

عبد الغني بطور

إنه عبد الجليل يخرج الآن مسرعا من باب العمارة، يلبس معطفا شتويا ويضع على رأسه قبعة، وعلى عينيه نظارة شمسية، يقصد سيارته.
- حاول مراقبته، لا تدعه يفلت منك.
أجاب زياد وهو يتوارى خلف جدار أسند ظهره عليه، واضعا يده اليمنى على حافته، ممسكا بالهاتف بيده اليسرى:
- حاضر، لكن يجب أن تعرف أجري، أريد ثلاثمائة مليون.
-ثلاثمائة مليون ! ولكن هذا مبلغ كبير.
أبعد الهاتف عن أذنه، قربه من فمه ليهمس:
- ليس أكبر من نشر صورك والفيديو الذي يفضح فسادك يا دكتور.
- حسنا حسنا، سأعطيك ما طلبت، القرص مكتوب فيه فضيحة دكتور، لقد أراه لي وتوعدني بنشره.
انطلقت سيارة عبد الجليل، قطع زياد الاتصال، قصد المقهى القريب من العمارة، جلس على ناصيتها، طلب القهوة، أخذ يحتسيها وعقله يتشرب أيضا أفكارا تتوارد عليه توصله للحصول على الغنيمة الدسمة : ثلاثمائة مليون ستقتلعني من فقري، ستعيشني العيش الكريم، لن أحتاج للعمل تحت إمرة أحد، هذا زبون مهم سيدفع ما يملك من أجل ألا يفتضح، لن أضيع هذه الفرصة.
أخذ هاتفه واتصل بالدكتور ليخبره أن المهمة ليست بالسهلة كما كان يتصورها، نسبة الخطر فيها كبيرة.
- أربعمائة مليون ! يا لك من جشع.
- ليس جشعا، إنما هو تثمين للعمل الذي سأسديه لك.
قبل الدكتور بالثمن، وقد علم زياد أنه سيقبل لا محالة، لأنه صار الآن على علم

بقضيته ولا يمكن إلغاء الاتفاق المبرم بينهما.
أقفل الخط، ارتسمت على وجهه ابتسامة سرعان ما انقلبت لجد : كيف سأصل لهذا المدعو عبد الجليل، لا شك أنه حذر لأقصى الحدود، ومن المستحيل أن يحمل معه أمرا بالغ الأهمية كذاك.
إنها فرصة العمر لا يجب تفويتها.
طبعت هذه الجملة في عقله الذي لطالما هفا لحياة مترفة، يطوف حولها وما يتردد غير : كيف أحقق هذا ؟
بقي لعدة ساعات متخذا نفس وضعية الجلوس، كصنم لا حياة فيه، قرر العودة للمنزل يحتاج قسطا من الراحة ليتأتى له التفكير بهدوء.
دخل بيته الذي يوجد فوق سطح منزل مليء بالمكترين، وجد زوجه سعيدة تنقي العدس من الحصى وحبوب القمح و الشعير والذرة المختلطة به، وابنته الصغيرة تلعب بدمية اشترتها لها أمها من سوق الملابس المستعملة بدرهم واحد.
سلم على زوجه، حمل ابنته ليعانقها، استلقى بعدها على السرير المهترئ الذي ظهرت أسلاكه.
هذه حياته لم يشتغل يوما ولا وصله أجر كل شهر يخفف عنه شظف العيش وقسوته، إلا عمله بالسوق حمالا أحيانا مقابل أجر هزيل، أو توصيله البضائع مع الزبائن الأثرياء إلى منازلهم.
وقد صادف في السوق هذا الدكتور، حين دعاه ليوصل معه بضائعه إلى منزله، السوق لا يقصده إلا علية القوم، كافأه مكافأة لم يسبق له أن تحصل عليها من الزبناء السابقين، فاجأه بطلبه أنه يحتاجه في مهمة سيجني منها ثروة لا بأس بها.
- لقد صورني أحد الصحفيين خلسة أثناء حديثي مع أحد زبنائي الكبار، يرجوني أن أنقذ حياته بأي ثمن، وقد طلبت منه مبلغا مقابل عملي فقبل به، وفي لحظة انتهائي معه رمقته حاملا هاتفه يصورني من شق الباب الذي نسيت أن أغلقه تماما.
لا يزال ممدا على السرير، أنا لا شأن لي بعمل الدكتور، كل ما أريد أن أحصل على المال، لأنجو بنفسي، مثل هؤلاء الدكاترة كثر، وزبناؤهم كثر، فلم لا أستفيد أيضا منه.
خلد للنوم قليلا، أيقظته زوجه تدعوه للغذاء، نهض ليرش بعض الماء على وجهه من البرميل، لم يدفع فاتورة الماء منذ شهور، فقطعوا إمداده به إلى حين دفع ما عليه.
جلس إلى مائدة الغذاء، كل لقمة يبتلعها يحس بضيق مسارها، كأن الحجارة من تهبط من حنجرته فيسمع دوي ارتطامها بأرض جوفاء، لم يكمل غذاءه وخرج، بدا على زوجه الاستغراب من تصرفه، أما الابنة غير مبالية تأكل بنهم الصائم عند الافطار.

غادر المنزل متجها نحو العمارة التي يقطن بها الصحفي عبد الجليل، جلس في نفس مقعده السابق، طلب نفس الشيء، قهوة بلا حليب تفتح عروق الدماغ .
- يجب أن أفكر جيدا، ولا أدري هل سينتظر الصحفي أكثر من هذا لينشر الشريط .
نشِطت مُخيلته بعد خمول طويل أصابها، أمسك مقود سيارة، بقربه زوجه ظاهرة في أبهى حلة، ابنته بلباس الملكة الصغيرة، بجانبها دبدوب كبير، قاصدا " ڤيلته " جالسا في مائدة طويلة فيها ما لذ وطاب، والخدم واقفين حوله.
صحا من غفوته على رؤية سيارة عبد الجليل تركن بجانب الرصيف، يخرج منها إلى العمارة، وما هي إلا ربع ساعة حتى ركب وغادر.
- إنه كثير الخروج إذا، شغله يبعده عن الشقة.
رسم عدة خطط لكن تخريجاتها تبوء بالفشل، كعالم رياضيات ملأ سلة مهملاته بالمسودات وقد أمسك رأسه من شدة الصداع، والإرهاق والغوص في التفكير العميق.
صور متضاربة تسير في شريط سريع الحركة، ابنته، زوجه، بيته الضيق، طلبه الماء من الجيران، ڤيلا، خدم، أكل، ملابس، سَكَنَ بعدها عائدا لوضعية الصنم.
تعب من طول التفكير السلبي، فإلى الآن لم يجد الطريقة الأنجع التي لا تحيطه بالخطر، قد يقبض عليه إن تعرض سبيله، أو حتى حاول فتح باب سيارته - ولا يدري كيف يفعل ذلك - لكن الشارع يراقبه عساس يقظ، وحتى باب العمارة لا يتركه البواب إلا نصف ساعة من الثانية بعد الزوال إلى الثانية والنصف.
- نصف ساعة، إنه وقت كاف!
خطر بباله أن يصعد إلى الشقة في هذا الوقت، لكنها مقفلة، ولا يستطيع أن يحضر مطرقة وإزميلا ليكسر القفل.
- يلزمني مفتاح.
لكن سرعان ما أزاح هذا الاحتمال فلا يمكن أن يحصل على نسخة منه.
قام بحركة متثاقلة، رأسه منحنٍ كالهرِم يمشي، لم يشعر بالطريق حتى وصل لغرفته البائسة.

ارتاح قليلا، قام من السرير، ترك زوجه نائمة وابنته التي تتوسطهما، هو سرير واحد في الغرفة.

الواحدة بعد الزوال، سلك زياد طريقه المرسوم أمامه، كسيارة في طريق مظلم تهتدي بالنور المضيء في الجنبات، لكنه لاحظ هذه المرة محلا لصنع المفاتيح، وقف

يتأمله قليلا ثم انصرف، وبعد شروده المعتاد:
- المفتاح، نعم هو الحل، يا لني من غبي! إذا حصلت على المفتاح الأصلي لن أحتاج لنسخه.

استمر في السير حتى جلس في المقهى، متوجها بجسده وقلبه وفكره إلى العمارة، إنها كل مناه.

لا بد له من الإحاطة بكل شيء قبل التقدم خطوة، يخرج كثير من السكان في فترة بعد الظهيرة، لأن أغلبهم موظفون، غادر عبد الجليل أيضا، وحتى البواب بعدهم غاب نصف ساعة.

ضرب زياد على رأسه :

آه ، لو كان عندي المفتاح ل...

صمت، عينه جحظت، فَغَرَ فمه للحظة وكأن ملك الموت أمامه، ثم تمتم :

المفتاح، المفتاح، المفتاح لقد نسيته داخل الشقة، إن مشاغل الحياة كثيرة ألهتني وزاحمت ذاكرتي.

قام قيام الأسد الذي رمق من بعيد فريسته، تسلل للعمارة خفية، راقب الشقق بداية بالسفلى، صعد للطابق الأول فالثاني، إلى الثالث والرابع، صور أرقامها بسرعة في ذهنه، أسرع للباب لينظر أسماء أصحابها، قرأها بصوت مسموع ناسيا من حوله، حتى وجدها.

رقم أربعة، عبد الجليل سالم.

أحس بيد غليظة وُضعت على كتفه :

- ماذا تفعل؟

أجاب مرتعدا :

- أبحث عن سيدة تدعى سمية.

- لا وجود لسمية هنا، ابحث في العمارات التي بجانبنا.

شكره وسار إلى أن ابتعد، أخافه كثيرا لأنه كان مرتبكا، وقد كاد يخرج من لسانه "سأعترف بكل شيء". هو لا يخاف على نفسه فأمثاله لا يهمهم شيء، لأن ظروفهم

قد جعلت منهم لا مبالين بمصيرهم، بل كل خوفه كان على ضياع فرصته التي أسالت لعابه، وعلى ابنة ستكبر في الفقر المدقع، وزوجه التي قبلت به رغم ظروفه المزرية.

لا بد أن أكون حذرا، لقد غفلت عن تقدير الوقت، هي نصف ساعة بالتمام والكمال.

سار إلى باقي العمارات كيلا يشك فيه البواب الذي تبعه بنظراته، أسرع الخطى ليبدأ التحضير جيدا لتنفيذ ما في ذهنه.

قصد سوق بيع كل ما هو مستعمل، لباس أثاث، أحذية، إلكترونيات، إنه سوق يقصده الفقراء ليحسوا بمتعة التسوق المفتقدة لقلة ذات يدهم.

يبحث عن أشياء معينة، طاف بين السلع المعروضة على الأرض، حتى وقعت عينه على ما يريد:

- كم هذه المفاتيح ؟

- خمس دراهم.

- أليس كثيرا ! سأدفع ثلاثة فقط.

- لا مشكل، خذها.

اشترى مفاتيح سيارة، وضعها في جيبه، ذهب إلى جهة الملابس، فتش إلى أن وجدها، إنها بذلة تبدو بحالة جيدة، كلفته خمسين درهما.

مرعلى السوق بعدها ليشتري بعض الخضار، بل الكثير من الخضار وبعض اللحم ليسكت جوعه وجوع أسرته.

حضرت زوجه العشاء، أكل حتى شبع، نام بعدها ليسيقظ مع العاشرة، ذهب عند الحلاق ليزيل لحيته الكثة، ويقص شعر رأسه الأشعث.

رجع للبيت، لبس البذلة التي لم يحتج لغسلها فقد كانت تبدو جديدة، وقد رشها بطيب أهداه له أحد من خدمهم في السوق، تأنق جيدا، حمل مفتاح السيارة، أخذت زوجه سعيدة رعشة أبدت معها غضبة لم يسبق أن ظهرت على محياها :

- إلى أين أنت ذاهب ؟

فهم زياد سبب غضبها، وضع يده على رأسها، اقترب منها :

- لا تخافي، فرصة يجب اغتنامها، أنت كل شيء في حياتي يا أم سلمى.

طلبت منه أخذ الحيطة والحذر، طمأنها بأن كل شيء سيكون على ما يرام، وسيخبرها بكل شيء لاحقا.

إنها الواحدة والنصف زوالا، زياد في المقهى يراقب عن كثب، وبحذر شديد أكثر من السابق، خريطة ذهنه يرسم فيها كل تحرك، وكل ما يريد بأدق التفاصيل، لا مجال للخطأ، خرج بعض الساكنة كما فعلوا في الأيام السابقة، نعم إن الأمور تسير وفق ما فكر، توالى خروج البقية إلى أن ظهر عبد الجليل مسرعا كالعادة إلى سيارته.

غادر البواب في تمام الساعة الثانية.

نهض من مكانه، أسرع الخطى إلى محل صنع المفاتيح، خطا خطوات متباطئة متبخترا، مظهرا مفتاح السيارة، قال لصاحب المحل :

- أحتاجك لبعض الوقت، إن أمكنك المجيء معي، لقد نسيت مفاتيح الشقة في الصباح بالداخل فأغلقت الباب عليها، ولما عدت تذكرت ذلك.

تفحصه الرجل جيدا، لباسه أنيق، يملك سيارة، عطره بجودة عالية، ووجهه يوحي بأنه موظف مهم، استغل الوضع :

- سيكلفك ذلك مئة درهم.

سمع زياد الثمن فحدث نفسه ناظرا نحوه : إنه يستغل وضعي، ولكن لا مفر الوقت الآن من ذهب.

حمل الرجل معداته وتبع زياد الذي كان يكثر من الالتفات خشية أن يكتشف أمره، حتى تنبه أن الرجل سيشك فيه، وصل لباب العمارة فأسرع بالدخول ودخل خلفه صانع المفاتيح : هيا أسرع، يبدأ عملي مع الثانية والنصف.

صعد زياد وعينه تطوف حول الشقق، يتخيل أن يفتح أحدهم الباب فيراه غريبا عن العمارة.

وصلا أخيرا للشقة الرابعة : ها هي الشقة، ابدأ عملك.

أخذ الرجل أغراضه، بدأ في العمل على فتح الباب، كان يحدث بعض الضجيج ، خاف زياد من سماع الجيران ذلك، طلب منه هامسا في أذنه : لا أريد إيذاء جيراني، هو وقت قيلولتهم الآن، استجاب لطلبه كأنه مساعده في الجريمة.

فجأة ! سمع صوت القفل قد فُتح، كاد يصيح من الفرح لولا أنه تمالك نفسه، أخرج المئة درهم، سلمها إليه.

نزل الرجل، ابتعد عن العمارة .

إنها الثانية والربع، دخل زياد، أغلق الباب ببطئ، الشقة تملأها أشعة الشمس، لكن لم يدري من أين يبدأ، أمِن الدولاب الذي يراه أمامه ؟ أم من المطبخ ؟ أو من غرفة النوم ؟ أو قد يبدأ في إفراغ المخدات الكثيرة ؟ لم يخط خطوة، ربع ساعة قد تكون كفيلة بزجه في السجن، أو تحلق به للأعالي .

جلس القرفصاء، فكر أن هذا بيت عبد الجليل، فلم قد يخفي قرصا مدمجا! والظاهر أنه يعيش وحيدا، دخل غرفة نومه فوجد المكتب وعليه حاسوب، اقترب أكثر فأكثر ليجد أقراصا فوقه، بدأ التفتيش.

في لحظة هدأ لما وقعت عينه على القرص المطلوب، المكتوب فيه فضيحة دكتور، انقض عليه فوضعه في الجيب الداخلي للبذلة.

رتب بسرعة المكتب كما كان عليه.

الثانية وخمس وعشرون دقيقة، خرج بسرعة مغلقا الباب، ركض هابطا من الدرج، ابتعد ومعه القرص، حلقت نفسه نحو الأعالي، عاد شريط غناه يتراءى أمامه، لم يدر وجهه حتى وصل للبيت.

دلف، دنا من زوجه المنحنية لغسل الأواني، فلا مطبخ عندهم، غرفة فيها كل شيء، ترك البيت بسرعة بعد أن غير ملابسه، حاول ألا يترك المجال لزوجته لسؤاله عن سبب فرحه، إلا أنها قالت:

- ألهذا علاقة بالفرصة التي حدثتني عنها ؟

- نعم، لقد اقتربت منها كثيرا.

اتصل بالدكتور .. ألو :

- ألو، لقد حصلت على القرص.

- أجاد أنت فيما تقول ؟

- نعم هو معي.

- كيف حصلت عليه ؟

- إنه عملي، لقد خاطرت بحياتي من أجله، المهم حضر المال لكي أسلمه لك.

- حسنا، سأتصل بك غدا، إلى أن أجهز هذا المبلغ الكبير.

انقطع الاتصال : إذا إلى الغد، ظننته الآن، لا مشكلة انتظرت سنين، أفلا أصبر يوما واحدا.

سار زياد إلى أن وجد أمامه نادي "الأنترنيت"، نظر نحو القرص : لم لا، سأشاهده.

دلف فاختار مكانا في الزاوية حيث لا يرى الحاسوب غيره، كتم الصوت إلى أن تحقق من وجود السماعات، أدخل القرص في الحاسوب، شغله ورفع الصوت.

الشريط لا يتجاوز الأربعين ثانية، لكن ما فيه أدمى قلب زياد : يا له من وغد، ذئب بشري، يسلب حياة الأبرياء من أجل المال.

إن ما نفذ إلى سمعه أنساه ما كان يبحث عنه طول حياته، إن الفقراء أمثاله يُقتلون عمدا، وكان من الممكن أن يقع في أيدي هذا الدكتور، أو حتى زوجه أو ابنته، أنبه الضمير فلم ينم طول الليل.

في مساء اليوم الموالي، انتشر الفيديو كالنار في الهشيم، دكتورمعروف يتاجر بالأعضاء البشرية، ألقي القبض عليه.

استيقظ ضمير زياد وقرر نشر الفيديو، لأنه لا يمكن التستر على هذا المجرم، أحس بخطئه بدخوله لبيت عبد الجليل دون إذن.

ونفس الضمير حثَّهُ على ضرب عصفورين بحجر واحد، وما كان منه إلا أنه طاوعه، فالتقى بالدكتور صباحا.

العُمْلَةُ واحدة

الطابور مزدحم، الناس من مختلف الأعمار ينتظرون دورهم، هم على استعداد للبقاء ساعات وساعات، المهم أن يروا " مول البركة " ويمسهم الماء المبارك من يديه المباركتين.

عدد زوار منزله اليومي يفوق بكثير زوار عيادات الأطباء، وحتى كبرى المستشفيات، فما يزال الناس يثقون في هذا النوع من العلاج أكبر من ثقتهم بالأطباء (الكِزَّارة) في نظرهم.

لم يكن " مول البركة " عالما ولا تعلم، إنما بركة مررها والده له ولا ندري كيف ومتى تمر البركة! لا ننكر أن الله خص البعض بالعطايا التي لم يدركها غيرهم.

طِستُ الماء أمامه، كلما دخل عليه أحدهم يحاول تشخيص مرضه، وعلى اختلاف الأمراض التي يحكي له زائروه فالدواء واحد، بعض الماء في يده يرشه على وجه المريض بعد أن يطلب منه إغماض عينيه، ثم دلك خفيف على مكان الألم، وفي الأخير ميعاد آخر بعد ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر.

الأجرة كانت " غير البركة " يجود بما عنده، لكن لم تعد كما السابق، مئة درهم أو مئتان يدفعهما الزائر حسب ما حدده " مول البركة "، ولا تؤدى له مباشرة، بل تُدْفَعُ لكاتبته، حتى الرجل المساعد أمام الباب لم يعد له وجود.

عن طيب خاطر ودون تذمر يمر المرضى بها، يدفعون ما عليهم مبتسمين مرتاحين، تجد المرأة تفتح محفظتها، والرجل يخرج من جيبه المال، يغادرون كأن شيئا لم يقع، كأنهم فعلا شُفوا من مرضهم.

فكيف شفاهم " مول البركة " بماء يملأه من صنبور بيته، الذي يؤدي ثمنه كل شهر لشركة " ليديك "، فهل البركة عنده أم عند " ليديك"!

أم أن أمراضهم كانت تحتاج من يطمئن نفوسهم التي قهرها الوسواس، أن يعبث بعقولهم الصغيرة!

" مول البركة " يزداد غنى يوما بعد يوم، امتلك السيارات، اشترى العقارات، ولن يحسده أحد على ما أوتي.

لكن ستعاتبه لما خرج ذات يوم فوجد الناس حول رجل سرق محفظة امرأة، وقد أوسعوه ضربا، وما كان من " مول البركة " إلا أن رمقه بنظرة احتقار شديد، طالبا من الناس الاتصال بالشرطة لينال جزاءه.

نائم ومستيقظ

- هل يعي هذا النائم؟ هل يعلم كم الساعة الآن؟ هل يشعر بعقارب الساعة وهي تدور آخذة معها الليل دقيقة دقيقة، وثانية ثانية؟ لم أنا أحس بسهري أما هو فلا؟ لم يقول لي بعد استيقاظه أنه لم يحس بالوقت حتى حَلَّ الصباح؟

لا بد أنه خارج نطاق الزمان، لكننا في مكان واحد، يتنفس كتنفسي، جسده ممدد أمامي.

لكن الأحداث التي تمر علي لا يراها، وأنا لا أرى أحداثه.

ربما قد انفصلنا في بعدين زمنيين، ولج بعده بنومه، وبقيت في بعدي بيقظتي.

نعم يعيش مرحلة الحلم، لكن ما الحلم؟

إن حركته بطيئة، يتقلب بعد فترات متباعدة، ماذا يرى الآن؟

وما معنى ذاك الشخير الذي يصدره من فمه! ولم هو خاص بالنائمين؟

هو الآن في هذيان يتكلم، هل يصيب النائم جنون مؤقت؟

ألا قيمة للوقت إلا إذا كنت فيه أنا!

أسئلة محيرة: هل الموتى يرون ما يرى صديقي؟

هل يعيشون أم أنهم فنوا كليا عن الوجود؟

هل يعرفون الليل والنهار، أم في ذلك البعد لا وجود للزمن؟

ارتخى كل عضله، تغشى النعاس مفاصله، تمدد بلا حراك، أطلق بعدها "سمفونية" شخير، التي لولاها لحسبْتَه وجد جوابَ تساؤله عن زمن الموتى.

أسطورة الداما

الفراغ شغل فارغ من الفائدة.

براد شاي في الصينية، بعض ورقات نعناع وسط الكاسات، قطعتان من السكر، يتحلق القوم وهم يتفرجون على جعفر أسطورة لعبة " داما " ، وخصمه الشاب المتحمس، الذي مع علمه أن جعفر لم ينهزم قط، أصر على اللعب ضده.

براد الشاي لم يُدفع ثمنه، الخاسر من سيتكلف بذلك، وسيحتسي الحاضرون على شرف جعفر الرابح في نظرهم قبل البدء بتحريك القطع في الرقعة.

بدأ الشاب بحركة تقليدية هز معها جعفر رأسه، لقد دفع البيدق إلى الجانب المغلق، بها عرف أنه مبتدئ وليس ندا له.

- واقلة غادي نسبقك يا الفاطمي.

- ألا يا، حتى أنا على بال.

" الفاطمي"صديقه القديم، هو أيضا رجل متقاعد، لا يفهم كثيرا في لعبة " داما"، لكنه جيد في تقليب الشاي من الكأس للبراد، ومن البراد للكأس، بعد وضع السكر والنعناع، ثم سكبه في الكاسات برَغوته الصاعدة، والقدر مضبوط لديه، الكل يشرب، والعجب أن توقيت انتهاء " الفاطمي" من تحضير الشاي هو بالضبط وقت انتهاء المنافسة.

تفوه جعفر، منح بعدها الشاب قطعة لكسبها بسهولة، ثم الثانية ثم الثالثة، فالرابعة.

التقم كل طعم رماه في طريقه، لم يفهم الشاب شيئا، أيعقل بهذه البساطة سيتفوق على الأسطورة!

قام جعفر بحركته البهلوانية المعروفة، يرفع رأسه للسماء ثم يقفز قائلا: " نوض على سلامتك".

يطلق الناس صياحا، ضحكات، تصفيقات على إيقاعات الدقة المراكشية.

طول مدة اللعب لا يركز جعفر مع الرقعة، بل تتسمر عيناه تجاه خصمه، هذا أسلوبه دائما، جِلسته نفسها، ثقته التي تقهر الخصوم، طاقيته على رأسه، جلبابه الذي فقد لونه من كثرة تعرضه لأشعة الشمس، ومن مرات تصبينه، بعد التقاعد قعد على عرش لاعبي " داما".

تبدأ حياة أخرى لدى الأجانب بعد تقاعدهم، يطوفون العالم في رحلات استكشاف، يخوضون تحديات جديدة لإحياء الشغف بداخلهم، لكن الفرق شاسع، فالعربي يتقاعد بمشية مترنحة، متهالك الجسد، وبِمَعَاش لا يكفيه حتى للتغذية.

بعد أن يُصرف تقاعده الهزيل يضعه في يد البقال الذي ملأ كُناش " الكريدي"، إلا من بعض مئات الدراهم التي يعطي منها لزوجه، ويحتفظ بمئتي درهم في جيبه.

فأين السفر! وأي شغف سيحتفظ به !

ما عاد يفكر في شيء غير جلوسه مع الأصحاب للعب " داما "، مستمتعا بالانتصار على من يتحداه، محتسيا للشاي المجاني.

الرقعة اكتسحها بنقلات محسوبة على رؤوس الأصابع.

مع آخر بيدق للشاب الذي أصبح كالمتفرجين لا يحرك ساكنا، قال جعفر : " خسرتي الواد الكبير غرقتي أولدي" ثم فتح فمه ضاحكا ليبدو سنه الأوحد.

آخر ما توقعه سماع الشاب القائل بعفوية:

- الغرق أن يقتلنا الفراغ، تلك خسارة الدنيا والآخرة، أما هذه فهي مجرد لعبة من أجل التسلية.

تقاسيم وجهه الباسمة اتخذت شكل العبوس، وقف، وضع فوق الصينية درهما، هي مساهمته في ثمن البراد الذي اشتركه تسعة وهو، غادر وحيدا.

مكانه في الصف الأول لم يعد يسبقه إليه أحد، استبدل قطع الداما بسبحة لا يتركها في كل أحواله.

حين يقترب من مكان عرشه القديم، يدير وجهه مبتعدا، متعوذا كأنما يرى الشيطان يتفحصه من بعيد، خانسا وقد تفرق عنه الجمع.

احتيال

رميساء تلك الزهرة الوضاءة، والوجه الصبوح، صاحبة البسمة المشرقة، لم تطل غمازات وجهها منذ زمن بعيد، وأخذ لون وجهها في الشحوب، كل من حولها تأثر بحالتها التي لا تبشر بالخير.
طول الوقت بصرها تائه، ولا تلق بالا لأبيها الذي أتعبه البحث عن خلاصها، يتردد بين شركاته والبيت ليرى ابنته الوحيدة، وأمها تلازم مقعدا بجانب سريرها، تطعمها لقيمات بعد أن تتحايل عليها لتبلعها بمرارة.
أما رميساء فلا كلام تنطق به.
بدأت هذه الحالة منذ قرابة الأسبوع، حين عودتها بعد أن قضت اليوم في الكلية كما أخبرت والديها، فتحت الباب لتهوي معانقة الأرض، أسرعت نحوها خادمتهم رقية وصراخها أخرج والديها من غرفتهما، نظرا لابنتهما مستلقية على الأرض وقد حل بهما الذعر، حملها والدها إلى أن وصل للسيارة فمددها بالمقاعد الخلفية، ركبت زوجه بجانبه.
وصلوا للمستشفى، أسرع لحمل ابنته قاصدا المستعجلات، وضعوها على المنضدة، طلب الممرض من الأب تسجيل اسمها ودفع الرسوم، ومن الأم الانتظار بالخارج.
فعل ما طلب منه الممرض، والتحق بزوجه الجالسة قرب المستعجلات، فاجأه الخروج السريع للطبيب ليطمئنهم أن ابنتهما من الحالة الجسدية بخير ولا تشكو من شيء، فسأله :
- ولكن ما سبب حالتها تلك؟
- لا بد أن تعرضها على طبيب نفسي لأنني سمعتها تنادي باسم نذير.
بملامح تعجب غريبة، قال الأب:
- لم أفهم شيئا، لا أدري من يكون نذير.

- أظن أن له علاقة بحالة ابنتك تلك، لا تقلقا كثيرا، ادعوا لها بالشفاء.
حملاها وآثار الصدمة بادية عليهما، فلم يعلما شيئا عن كيفية شفائها، وصلوا فوضعاها على السرير، دثرتها أمها بلحافها وأطفأ الأب النور ليتركاها تنام.
جلسا في الصالون، جلست رقية معهما، فرقية مقربة منهم كثيرا خادمتهم منذ سنين، ولا يعتبرانها كباقي الخادمات، سألتهما عما قال الطبيب، فأجابتها الأم:
- أخبرنا أن صحتها بخير، ولكنها تردد اسم نذير، وقد يكون له علاقة بما حصل

معها.
تعجبت رقية أيضا :
- لا بد أن تعرضاها على طبيب نفسي في أقرب وقت.
رد الأب بعد تنهيدة:
- في الصباح الباكر سأذهب بها، وأنا على استعداد أن أطوف العالم بأكمله من أجل ابنتي، فهي وحيدتي ولن أسمح بفقدانها، ولا تنسيا دعاءكما لها بالشفاء العاجل.
قامت رقية إلى غرفتها، والأب والأم كذلك، ناما بعدها بصعوبة بعد أن أعياهم التقلب طول الليل.

استيقظ الأب مع أذان الفجر، أيقظ زوجه بعد أن توضأ، قصد المسجد، أنهى الصلاة فجلس أمام الإمام وحكى له ما جرى، كان الإمام رجلا بشوشا، تُرى فيه طمأنينة كأنما حاز الدنيا، ولا رزق أعظم من القرآن، أراد والد رميساء مرارا وتكرارا مساعدته ماديا فكان يقابله بالرفض، إلا بعض الهدايا التي لولا أنه يُقسم عليه لأَخْذِهَا ما قبلها، يبيع زيت الزيتون والعسل، وما يعود عليه من تجارته البسيطة يُغنيه، يلقي على المسامع الكلم الطيب، وكل من أتاه يخرج مستبشرا فقد كان رحيما في دعوته إلى الله.

طلب منه الدعاء لها، طمأنه الإمام بأن كل شيء مقدر عند الله، ومع ذلك دعاه أن يتخذ كل الأسباب الممكنة. "دافع القدر بالقدر فهذا دأب المؤمن، لا تستكن ولا تعجز".

عاد ليحمل ابنته لعيادة دكتورنفسي معروف، وصل للعيادة، انتظر دوره إلى أن حان، وقف وأسند ابنته، طلب منه أن يمددها فوق السرير، وكذلك بالابتعاد عنها، دعاهما للجلوس في كراسي قرب مكتبه.
دنا منها الدكتور فسألها عن اسمها فلم تجبه، أعاد السؤال ولم تجبه، حتى قالت بصوت خافت نذير، كررتها ثلاث مرات.
سمعها الدكتور فقال:
- من هو نذير؟
- نذير
- نعم سمعتك رميساء، أريدك أن تخبريني عنه، أتحبينه أو تكرهينه؟ لا يسمعك غيري، فوالداك بعيدان عنا.

- أحبه.
- وأين التقيته كي نحضره إليك؟
- إنه طالب معي في الكلية.

- أي تخصص تدرسين؟

- التجارة.

- إذا أنت مشروع سيدة أعمال ناجحة.

- لا أريد الآن شيئا غير نذير، هو من أنار ظُلمتي.

- حسنا، ستلتقينه عما قريب، تمددي لترتاحي الآن، كل شيء على ما يُرام، إنك فتاة قوية.

تركها وقصد مكتبه ليخبرهما أنها تعاني الصبابة (شدة الاشتياق للحبيب)، نظرا نحوها ليجداها شاردة الذهن، لم يصدقا في البداية إمكانية حصول هذا، لكن الطبيب أكد أن ما لها من شفاء غير لقائها بنذير، أخبرهما أنه زميلها في الكلية، وأردف:
- أعلم أن وقع هذا الأمر شديد عليكما، هي حالة ناذرة جدا، فلا تحملاها أكثر مما تُطيق، ويستحسن أن تبحثا عن نذير لتراه وتلتقيه لكيلا تتطور حالتها تلك، أعلم أن مجتمعنا محافظ، لكني أرجو ألا يحرجكم تعلق الأمر بأنثى.

ثم أتم بعد ابتسامة بهية عساها تطمئنهما: ستكون بخير فلا داعي لحمل هَمٍّ سيُضِر بكما وبها.

مع أني أرى حق النساء في التعبير والفعل ما لم يخالفن الدين، فهو الميزان الحق، وما دونه يؤخذ منه ويرد، وابنتكما قد تلقت تربية طيبة من والدين فاضلين مثلكما، فلا خوف عليها.

- سنبذل قصارى جهدنا، وما قصدتك إلا لعلمي باتِّزَانِ منهجك.
شكراه على حسن استقباله ومعاملته، غادرا نحو المنزل ولم يستوعبا بعد الموضوع.

بقيت الحال كما هي، وما زال والداها لم يتخذا قرارا بشأن البحث عن المدعو نذير، لأن الأب بالرغم من حبه الشديد لابنته ظل الخوف من انتشار قصتها هاجسا يصعب

تجاوزه، ولم تأل الأم جهدا في محاولات عديدة لإقناعه، لكنه كلما رأى ابنته ارتعدت فرائصه وضاق صدره.

خيم الحزن على الكل، حتى الخدم ورئيستهم رقية، لأنهم يحبونها وهي من كانت تسلم عليهم ببشر كلما رأتهم، ولا تعاملهم تلك المعاناة الجافة التي اعتادوها من قبل.
طرقت رقية باب غرفتهما، فدعوها للدخول، جلست معهما فقالت:
- لا بد من إيجاد حل لابنتكما رميساء، إن حالتها تزيد سوء يوما بعد يوما، وإن وافقتما عندي حل أظنه مناسبا لكما، فلن تظهرا أنتما في الواجهة.
قالت الأم بلهفة:
- ما هو يا رقية ؟ حدثينا به.
- أحيانا تأتي مع رميساء صديقتها بسمة، تدرس معها في نفس الكلية، هذا ما أخبرتني به، ففكرت أن نتصل بها وهي ستساعدنا للتعرف على نذير.
قال الأب بصوت متهدج:
- وكيف سنصل لبسمة ؟
- لا شك أن رقمها مدون في هاتف رميساء، إذا قبلتم فكرتي اتركوا لي أمر التواصل معها.
استبشرا قليلا بأن رميساء ستعود كما السابق.
اتصلت رقية ببسمة، دعتها للقدوم للمنزل، فقدمت في تمام الساعة السادسة بعد أن انتهت كل محاضراتها.
ما إن رأت رميساء حتى تقدمت لمعانقتها.
- رميساء، ما بك ؟ لقد اشتقنا إليك، كل أصحابنا يسألون عنك، غبت عنا كثيرا.
لم تتكلم رميساء، لكنها ظلت محدقة بها.
- أخبريني أنا صديقتك، لا تخافي تكلمي.
ململتها قليلا، نظرت إليها نظرات متثاقلة:
- نذير، كيف حاله لماذا لم يأت معك؟
قامت، اقتربت بضع خطوات من أبيها الواقف قرب الباب، وأمها ورقية، وقد كانوا مشدوهين يراقبون ما يقولان، لتسألهم:
- ماذا حدث لرميساء ؟
حكت لها رقية ما جرى، وأردفت:
- هل تعرفين شخصا يدعى نذير يدرس معكم؟
فكرت قليلا، ثم قالت :
- نعم، أعرفه إنه طالب معنا، لكن ما علاقته بحالتها؟

طأطأ الأب رأسه قليلا، زفر عدة زفرات، ليقول :
-إنها تحبه - تقدم نحو بسمة - لكن أرجوك اتركي الأمر سرا.

أدارت بسمة وجهها نحو رميساء غير مصدقة:
- نذير الذي يضطر للعمل مع والده في إصلاح العجلات ليدفع مصاريف تعليمه، الكل يسخر منه، ويضحك على لباسه البالي، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا! فكم تمنى كل من في الكلية مصاحبتك.(كل علاقة خارج نطاق الشرع فهي مرفوضة، ليس في حِرمتها سلب للحريات، هي حدود لا يجوز انتهاكها، فكم سقط في الشراك أناس بدعوى التحرر المزعوم.)
أوقفتها الأم:
- إن شفاءها بين يديه، لا مخرج لنا آخر إلا هو.
- وما المطلوب مني ؟
قالت رقية :
- أن تحضري نذيرا إلى هنا.
اندهشت بسمة، وبعد لحظة صمت ردت :
- ولكنني لم أقترب منه يوما، دائما ألاحظه وحيدا، صامتا إلا في مداخلاته لمناقشة موضوع المحاضرة.
نظر الأب إلى بسمة نظرة رزينة، نزع نظارته:
- بنيتي بسمة، إنك الأقرب منه، افعلي ذلك لأجل رميساء، فأنا لا أعلم عنه شيئا، وقد يرفض طلبي، ولا أريد هذا الموقف السخيف.
أكملت رقية:
- نرجوأن تقبلي، فصديقتك في أمس الحاجة إليك، وكم حكت لي عنك، إنها لا تثق بين زميلاتها إلا بك.
جلست بسمة بالقرب من رميساء، مررت يدها على شعرها، قامت بعدها لتعلن عن موافقتها.

في صباح اليوم الموالي، أخبرت نذيرا بالأمر، قرر القدوم معها لرؤية رميساء، طرقت بسمة الباب ففتحت رقية، بقي نذير خلفها، دخلت بسمة فدخل بعدها.

رحبت بهما رقية، دعتهما للجلوس إلى حين نزول الأم، أخذت هاتفها واتصلت بالأب ليقصد على جناح السرعة المنزل.
نزلت والدة رميساء إليهما، عانقت بسمة عناقا حارا، ونظرت نحو نذير لتلحظه

حاني الرأس خجلا، فقالت:
- مرحبا بك بني، وشكرا على قبولك المجيء.
أجابها ولا يزال رأسه منحنيا :
- شكرا لك سيدتي.
أحضرت رقية الشاي، دخل الأب والعرق يتصبب من جبينه، سلم عليهم ليقف الجميع، تقدم نحو نذير وتملى في وجهه جيدا، تفحص جيدا نظارته التي يظهرعليها لصاق جمعها بعد كسر، قال بصوت حاد :

- ماذا يجمعك مع ابنتي، هل تريدها لأنني غني، ما أراك إلا استغلاليا.
بادل نذير الأب نفس النظرات، قال بصوت منخفض :
- أنا لم أتحدث مع ابنتك، ولا لاحظتها يوما، ولكن لما أخبرتني بسمة بالأمر ذهلت، وقبلت طلبها لأساعد رميساء ليس إلا.
أمسكت رقية يد الأب، دعته للجلوس محاولة تهدئته، ذكَّرتهم بضرورة الصعود لغرفة رميساء كي يراها نذير وتراه.

وجدوها جالسة على مكتبها وقد وجهت نظرها نحو النافذة، دعوه للاقتراب منها، دنا منها، استدارت وبمجرد رؤيته تهلل وجهها، وانفرجت أساريرها، وبدت غمازاتها التي غابت بضحكة أشرق معها الوجه المقطَّب، نهضت من مكانها وقالت :
- نذير، لقد اشتقت إليك، لماذا غبت عني، كنت أنتظرك في كل وقت، صورتك لم تغب عني ولن تغيب.
التفت نحو أسرتها الواقفة خلفه، عاود النظر إليها:
- ماذا تقصدين رميساء ؟ هل تعلقت بي فعلا؟
- نعم
- لم أظن يوما أن تحبني فتاة مثلك، فكما تعلمين أبي مصلح عجلات، وأنا أساعده في عمله ليمدني ببعض المال من أجل إتمام دراستي، شكلي لا يعجب الفتيات، وحالتي تتحدث عني قبل أن أتكلم، يرمقنني بنظرات الازدراء، ويبتعدن عني كأنني كلب أجرب يخفن أن ينقل لهن العدوى، وحتى الشباب لا يفتخرون بمصاحبتي لأنني سأشوه صورتهم الجذابة.
وضعت الأم يدها على كتفه :
- كفاك بني نذير، أنت إنسان طيب، ويكفيك هذا شرفا، فيك الإنسانية لأنك قبلت مساعدة ابنتي ولم تطلب مقابلا، وأنا لن أجد مثلك أستأمنه عليها، إن كانت تحبك

فانظرهل ستبادلها نفس الشعور، وأنا سأضمن لك ألا أحد سيفرقكما عن بعضكما البعض، وما من فرحة لأم أعظم من أن تجد ابنتها من يحبها بصدق، حبا دائما لا نزوة عابرة.

اشتعل وجه الأب غضبا، لكنه لما رأى تحَسُّنَ حال ابنته استسلم للأمرالواقع ليدعو نذيرًا بالخروج معه لبرهة، جلسا في حديقة المنزل، حدَّق الأب طويلا في نذير ثم قال له :

- أتعلم أنها ابنتي الوحيدة، وسأفديها بكل ما أملك، كنت أتمنى لها شابا أحسن منك، ذا مكانة مرموقة في المجتمع، معروفا بنجاحه مثلي، لكن الأقدار جرتك إلينا، ولا مفر من القدر، لوت رميساء ذراعي بالقوة، لذلك أدعوك لتكون معها على الدوام.

أجابه نذير وقد أدار وجهه عنه :

تريد شابا غنيا لا شخصا مثلي، تأمرني وكأنني من طرقت بابك طالبا تزويجي ابنتك، إن قبلت فلن أقبله لأجلك، بل لأجل تلك المسكينة التي أرهقتها بحياتك المادية، إن المال لا يحقق السعادة، ومالك المال لا يحيط من حوله بالسعادة - نهض من مكانه - عذرا سأنصرف الآن، وسأعاود زيارة رميساء.

غادر نذير، شبك الأب عشره على رأسه، ساكتا يسمع صدى ما خرج من فم الشاب.

عاد الأب للغرفة، لا تزال أمها ورقية وبسمة عندها، اقترب من رميساء فعانقها، ثم قال :

- عذرا ابنتي، قصرت في حقك كثيرا، ولن أسمح لحزن بعد الآن يلم بك، سأزوجك نذير.

الزغاريد تعالت، قبلت رميساء أباها، شعر معها بدفئ مشاعر أبردتها الحياة المادية.

قدم نذير في اليوم الموالي وبسمة معه، دخلا على رميساء، رأتهما فتعالت ضحكاتها وهي تنظر لنذير، ضحك أيضا، وتبعتهما بسمة.

- ألم أقل لك أني سأنجح، لم تكن واثقا من خطتي في البداية، لكني أثبتُّ لك العكس.

رد عليها :

- خفت أن يكتشفوا أمرك، فتفقدين ثقتهم بك، ولن أسمح لنفسي أن أحول بينك وبين أسرتك.

كان لا بد من المغامرة، لأن أبي لن يقبلك ولو نزعت أحشاءك ووضعتها أمامه، ولكنني أعذره فهكذا تربى، وكان علي أن أكسر هذه اللعنة.

فتحت رقية الباب، غير نذير الموضوع، أسرعت رقية لتحضر والدة رميساء، ثم قالت:

- لقد سمعت كل شيء، يجب أن تبلغي زوجك أن هذا الشاب خدعه، وقولي له أيضا أنه هددها بالقتل إن لم تفعل ما يأمرها به.

بدأت نبضات قلبه تتسارع كالهارب من الخطر، ثم عادت للانتظام رويدا رويدا لما ضحك الجميع.

البغل

يحمل الناس فوق " الكرويلة " حاملا سوطه يجلد به البغل كي يسرع، الإشارة الحمراء أضاءت لكنه ظل يجلد صارخا " سير سير ".

لاحظه الشرطي فتقدم معترضا طريقه ليتوقف، جبد إليه حبل اللجام، بصعوبة هدأ البغل.

نزل من " كرويلته " الراكبون يراقبون ما يدور بينه وبين الشرطي.

- لقد خالفت القانون لذلك ستدفع الغرامة.

- أشمن غرامة الله يهديك هذي راها غير دابة أش كتعرف شي قانون أشاف، الله يرحم الوالدين خليني نترزق الله عاد بديت.

- الدابة لا تعرف القانون لكنك تعرفه، ستدفع الغرامة وإلا سأصادر " الكرويلة ".

علم الناس أن جدالهما حول تطبيق القانون على " الكرويلة " سيطول فنزلوا جميعا، البعض منهم جاد على صاحبها بالأجرة من باب المساعدة، والبقية غادروا دون أن يلتفتوا.

جلس الرجل على الرصيف، في حين اتصل الشرطي ب " الديباناج " لتحمل " الكرويلة " إلى " الفوريان ".

قام الرجل قاصدا الشرطي ليعفو عنه، لكن دون جدوى فالشرطي معروف بتطبيقه الحرفي للقانون دون اجتهاد.

حملوا البغل فوق " الديباناج " ربطوا " الكرويلة " عليها، وقدم الشرطي للرجل استدعاء لمخفر الشرطة من أجل دفع الغرامة وقدرها سبعمائة درهم.

رأى المبلغ فانتفض :

- عيب عليك أشاف، كون كانت عندي سبعمية درهم كوراني في الدار مرتاح ، البلاصة كنركبها بجوج دراهم، وخاصني عشريام باش نصورها، القانون بغيتي تطبقو عليا غير أنا وبغلي حشومة عليك.

- القانون قانون عليك وعلى بغلك، وعلى الجميع.

لما يئس من محاولات استعطاف الشرطي قرر الذهاب إلى مخفر الشرطة، لعله يجد هناك من يعطف على حالته.

دخل لمكتب دفع الغرامات ليحاول إقناعهم بالعفو عنه، وجد الناس ينتظرون، جلس بينهم فظلوا يرمقونه بنظرات ازدراء، فقد كان بلباس عمله، وماذا يلبس سائق العربة!

تقدم الأول فالثاني، فالثالثة، وكلهم دفعوا غرامة مخالفتهم قانون السير.

حان دوره، فسأله أي سيارة تملك:

تبسم في حزن :

- بغل يجر "كرويلة" .

ضحك المكلف في مكتب المخالفات وقال مستهزئا:

- إنها الفخامة الأصلية يا لك من محظوظ .

- واش معقول نخلص سبعمية درهم سيدي بحالي بحال هاذو لي سبقوني، البهيمة ما عليها قانون .

- ولكن صاحب البهيمة يفهم القانون، لذلك إما ستدفع الغرامة أو سنصادر عربتك وبغلك.

- خليوه عندكم.

غادر المكتب وهو ينادي حسبي الله ونعم الوكيل .

البغل وحده هو أكبر ضحية لتطبيق القانون عليه، فقد تركوه في " الفوريان " بدون أكل حتى مات دون أن يعلموا بالأمر، وصلتهم رائحة كريهة عند زيارة لمسؤول شرطة السير بالمدينة، تساءل غاضبا عن الأمر فلم يجدوا إجابة، تقدم باحثا بين صفوف السيارات والدراجات المحتجزة، واضعا كفه على أنفه، حتى هاله رؤية عربة وبغل نال منه الدود ما نال.

كانت الصحافة ترافق المسؤول، فَتَسَابق الفضوليون ليكشفوا سر القضية حتى وصلوا لصاحب العربة.

طرق على باب خشبي، الكاميرات مرصودة أمام " البراكة " ، بدأ الصياح باسمه في محاولة لحيازة قصب السبق ونشر حقيقة حجز العربة.

اشتهر " سي قدور " وقدم مجموعة من المحسنين المساعدات له، ولعل أكثر ما أفرحه هي الشقة التي آوته هو وأسرته الصغيرة، وقد عرضوا عليه فرص عمل، لكنه رفض قائلا:

- بغيت بغل وكرويلة .

بعدها لم يخالف " سي قدور " قانون السير، وحصل على رخصة ومعها " بلاكة " كأول عربة مرخصة يجرها بغل في العاصمة الاقتصادية.

مْشَا مْسِخّرْ ..

أنهى ساعات عمله المرهقة، ولا يفكر الآن إلا في ارتماءة على سريره فور وصوله.

وقف في المحطة منتظرا دوره، الصف طويل جدا والشوارع مزدحمة، إنها السادسة وقت الذروة، كل الكادحين ينتهي دوامهم في ذاك الوقت.

تلقى اتصالا من زوجه تخبره ألا ينسى إحضار " دوليو " ليبدأ إزالة طلاء الصالون، كي يتأتى له تغييره بطلاء جديد.

التفت يمينا و شمالا عله يجد " دروغري "، سأل " الكورتي " فأشار له على تواجده في مكان بعيد.

اتصل بزوجته ليخبرها أنه لم يجد محلا قريبا، لكنها رفضت طالبة إحضاره معه.

خرج من الصف، سار إلى أن وصل بعد جهد جهيد للمحل.

اشترى قارورات " الدوليو "، حملها عائدا إلى المحطة.

لا يزال الصف طويلا جدا، افترش محفظته منتظرا دوره.

اتصلت زوجه تخبره أن صديقاتها يحللن عليها ضيفات الليلة، وتحتاج بعض الطلبات، حلويات وعصائر، ووجبات سريعة، فلا طاقة تملكها للطبخ.

رفض في البداية، لكن بعد إلحاحها وتغنجها المعتادين قبل، لكن شريطة أن يجد المال الكافي ليسحبه من البنك.

- آخر الشهر، والأجرة لم يتم صرفها بعد، حتى أنني لا أذخر المال بسبب كثرة طلباتها الزائدة، ربما قد أخطأت لما ألفت مني هذا السخاء، ربما تظن أن أجرتي مليونا أو اثنين، خطأ البداية أتحمله الآن.

حملق في القارورات التي يحملها طويلا، وقال في عجب :

- ألم يكن الأولى اذخار المال لدفع بعد القروض التي تثقل الكاهل! إلى متى نعيش للناس على حساب جلد ذواتنا!

سيارة الأجرة ركنت بجانب الرصيف، ونداء بعيد يسمعه وهو هائم في التفكير.

تنبه لرؤيته حذاء مهترئا، رفع رأسه رويدا رويدا حتى رأى وجها غاضبا : " تمالك مغيب من الصباح ونا كنعيط عليك، زيد ركب راها نوبتك ".

وقف معتذرا، ركب السيارة، وضع رأسه على بابها، انطلق السائق بعد أن شغَّل أغنية " العيطة "، ضجيج صاخب، موسيقى مرتفعة، حديث ثنائي وأحيانا ثلاثي ورباعي، هموم تحكى وأوجاع تؤلم، رنين هاتفه، تفكير في سيناريو متكرر، قارورات " الدوليو" ترتطم ببعضها، نظرات الركاب الغربية نحوه.

الطريق طويل، ساعة إلا ربع تلزمه للوصول، راحة بال لم تستقر في خاطره.

صمت الجميع ولا زال صوت " العيطة " ينفذ إلى أذنه، أخذ الصوت ينخفض شيئا فشيئا، كُتم بعدها فلم يعد يسمع شيئا إلا صوت حديث داخلي.

نفس غريب امتلأت به رئتاه، رأى بعدها الحياة وردية.

لم يحس حتى وجد نفسه أمام الباب، مادا يديه بقارورات العصير والضحك قد أتعبه، وذهول شديد بادٍ على وجه زوجته، وصديقاتها اللاتي يهمسن في آذان بعضهن البعض.

نـهيق

قلب كفيه الخاويتين متحسرا على حال الدنيا ومن يعمرها.

لم يُسمع في داره مأمأة وما بقي للعيد إلا يوم واحد، غير أن حماره الشقي لا يهدأ من النهيق الذي يصدع رأسه المثقل بالهموم.

ليس فقط نهيق حماره من يزيد محنته، حتى أسئلة أهل القبيلة السامة .. ألم تشتر بعد خروف العيد ؟

ينسل منهم سائرا لا يدري إلى أين.

قبل يومين أوصل زوجه عند أبيها مع أبنائهما، لن يتحملوا ضغط ما قبل العاشر من ذي الحجة.

" لا أعلم الذنب على من يقع، هل عليَّ! أم على قسوة الحياة ! أم على العيد ! أم على من قدَّسَه ! " تساؤلات يرددها دون الوصول لجواب، فلا أحد يفهم كيف آلت الأمور لما هي عليه الآن، فالكثيرون يأتونه بهواتفهم ليرى صورة أكباشهم المليحة، وينتظرون إعجابه بحسن اختيارهم، والأكيد السؤال الجوهري " هل كبشي أسْمَن أم كبش فلان؟".

فهل سأل هؤلاء أنفسهم إن كان في استطاعته شراء الأضحية أم لا ؟

أم هل فطنوا للغاية من تشريع العيد ؟

ليس لحما ولا شحما ولا تفاخرا، إنما هو نية.

تعب من الحمل الذي ينزل عليه كلما اقترب العيد، من كل التراهات التي يتفوهون به، ومن كلامهم المبتذل والمكرر كل مرة.

يوم النحر صلى الناس، والقلة من أنصتت للخطبة، الأغلبية هرولت لتغير ملابسها استعدادا للذبح.

رأى فتًى الدَّمَ في دار " العَرْبِي " فأسرع مارا على كل دار يخبرهم بالأمر، بعثوا صبيانهم ليستطلعوا، ففاجأهم خروجه ملطخا بالدماء، ابتسم وأرسلهم ليخبروا آباءهم بأنه ذبح اليوم، وكذلك ليقدموا عنده ليلا من أجل إكرامهم.

فعلا أتوا جميعا.

عند دخولهم شَمَّت أنوفهم رائحة اللحم يُطهى، نظروا لبعضهم البعض باستغراب شديد، وتساءلوا :

- متى اشترى الأضحية ؟

- ربما أخفى عنا الأمر!

- ربما اشتراه له فاعل خير!

- قد يكون اقترض ليشتريه !

- هذا عجيب، لكننا سنأكل اللحم أخيرا عند " العربي ".

استرسلت قهقهاتهم ودخلوا.

لم ينطق " العربي " بعدها بأية كلمة غير ترحيبه بهم، أكلوا حتى التخمة ولا زالت ألسنتهم ترفرف للتباهي بالذبائح.

أما نهيق حماره لن يسمع في داره مجددا، لأنه خلف الدار صامت، يعض لسانا متدليا تهاطل عليه الذباب.

مول الطاكسي..

مبتهجا يحاور الراكبين معه، طول اليوم وهو في نقاش لا يمل منه ولا يسأم.

يُرَجِّعُ ما سمع في أخبار الظهيرة نهارا، وما في أخبار المساء ليلا، يصدق ما يقال تصديقا لا يساوره شك.

كم توهم أن التغيير آت لا محالة، فذاك ما ترسخ في ذهنه من خطابات الساسة الهاربة إلى مستقبل غير موجود.

مع بداية أشغال " الطراموای " لم يُرَ إلا متحمسا، والويل لمن يعارضه.

" ها الطرام قرب يخدم وما زال الخير جاي للقدام، بلادنا غادية وكتزيان، باراكا من الهضرة الخاوية ".

حتى أن الطريق طالت بسبب الأشغال هنا وهناك، مما يلزمه حرق مزيد من البنزين الذي غلا ثمنه، ولو أن يوميته نقصت، ولو أن " مالك الطاكسي " لم يخفض من نصيبه الثابت، إلا أنه لم يتذمر ولا شكا، كل ذلك في سبيل التغيير المنشود.

لقد باعوه الوهم بأغلى ثمن، انتظار الفراغ.

بعد توالي السنين، افتتح خط " الطراموای "، وفي نفس الخط يشتغل، أصبح انتظاره للركاب طويلا، يجلس مُترصِّدا اكتمال المقاعد، ليسابق الريح ذهابا ومجيئا.

وكلما أراد اجتياز الشارع بعد مناداة مُسيِّر المحطة عليه، أوقفه العمود المثبت بإشارة صوتية مفادها " انتبه مرور الطراموای ".

عطاء

ما تراه بعينيك ليس هو الحقيقة دائما.

على بعد أمتار من المطعم يقف مترددا، الجوع تمكن من إضمار بطنه.

تقدم ببطئ مراقبا النادل، يريد الوصول لمائدة أحدهم قبل أن يطردوه، هبَّ في وجهه نسيم بارد أنساه أشعة الشمس اللاهبة.

توقف، فإذا أمامه مباشرة رجل أنيق، خداه متوردان، يضع بجانبه هاتفا ذكيا غاليا، يبدو جليا أنه من أهل اليسار، يلتهم الطعام، مائدته مملوءة عن آخرها.

سبحت نظراته نحوه، من صدره أطل قلب مُتعب تفتق منه فم: ما يظهر من هذا الرجل ليس هو ما يخفيه، يوم واحد من حياته لن تقدر عليه، لم يصلني نور منذ أمد بعيد، مع أني أداوم تحذيره، غير أنه يسلك طريق اللارجوع، لكم تمنيت سجدة أُسقط معها حِملي، المال، جمع المال همه، الشهوات مطلبه، لقد بلغ الحضيض، تخلت الدنيا عن جمالها، وتبدت بقُبحها، وما يزال هائما على وجهه، مبتغيا رضاها، إني أحذرك لا تتمنى عيشته.

لقد سبق تحذير القلب عقله، وقد بدأ ينتشي بالتمني.

مد الرجل يده، بادره المسكين بقوله:

- لا أريد عيشتك.

استغرب من رفضه وجبة طلبها لما رآه يحدق به، ظانا أنه محتاج للأكل.

عاد المسكين للحضور بعد تيه للحظات، ثم قال:

- كرم منك سيدي، وجدتني أتضور جوعا.

- لكنك أبديت رفضك، وقد تلفظت بكلمة غير مفهومة، فأي عيشة لا تريد!

- لا تهتم سيدي، إن الجوع أنساني أين أنا.

- لك ما تريد، تمن لي التوفيق.

- إن صنعت معروفا لا تطلب عليه مقابلا.

- هل طلب التوفيق يعتبر مقابلا!

- ألم تقرأ من قبل حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، منهم رجل تصدق بيمينه فأخفاها، وهذا هو الإخلاص، تعطيني ولا تريد مني شيئا، لا مدحا ولا دعاء، ومع ذلك أسأل الله لك طمأنينة القلب، وراحة البال.

- كأنك كشفت ما في القلب.

أجابه متحسرا على ما خطر في نفسه لما حدق فيه:

- كأنه حدثني.

- هل أنت صوفي؟

تبسم:

- لست صوفيا، الصوفية مرتبة لا ينالها أمثالي، وهي ليست كما تعتقدونها.

- ما هي إذا؟

- لن تجد عندي ما يشفي الغليل، لربما كانت حالا، تصفى معها النفس من القبح الذي يتملكها، قد يكون الصوفي غنيا، وليس بالضرورة أن يترك الحياة وزينتها، إلا أن قلبه لا يتملكه أحد، ولا يستعبده شيء.

نظر الرجل لساعته:

- الحديث معك يبدو شيقا، لكن موعد الرجوع للدوامات قد اقترب، خذ وجبتك، أو إن شئت يمكنك الجلوس معي داخل المطعم حتى تنتهي.

عاد خطوات للوراء:

- للوهلة الأولى لما أحسست ببرودة الجو في المطعم ظننت المكيفات جيدة، لكنها ليست صحية، ومكلفة جدا، إذا أُلِفتها سأتنازل عن قناعات ظلت صامدة لسنوات، ولست مستعدا لذلك، أفضل حياة صغيرة أحكمها، على حياة كبيرة أكون فيها محكوما.

ـ كما تشاء، راحتك رأسمالك فلا تفرط فيها، أين ألتقيك إن أردت تجاذب أطراف الحديث معك؟

ـ تحت ظل الشجرة، لن أقترب من هنا مجددا، وإياك أن تمعن النظر في الدوامات، ستصيبك بالدوار.

هم بالمغادرة، عاد فأطل برأسه وقد بلغ الرجل مقعده، أشار له بيده ثم قال بصوت مرتفع:

ـ ألا تريد سعادة لا تنفد، استجب لنداء الصلاة، والله لن تُفلح دونها ولو تنازل لك سائر الخلق عن رزقهم الدنيوي.

انتبه الجالسون وكأن قطعة من نور توهجت أمامهم.

أما هو فانزوى تحت ظل الشجرة، على الأرض حصيرته، حنى رأسه ليقبلها، التهم الطعام برضا تام.

وبين الفينة والأخرى ينادي في المارة مبتسما: بعض المنع عطاء، اعتنوا بقلوبكم، اذكروا الله لتحيى.

الذنب

غمضة ..

وحيدا في حديقة الحي الذي يقطن به، بل معه ذكريات قديمة لم تنمح بعد، ولا يمكن أن تغيب عنه لأنها تركت آثارا، والماضي لا يمكن أن ينسى وما زال فيه ما يذكره به.

جاد خبير في المعلوميات لم يشأ أن يصير موظفا لدى إحدى الشركات، يظل اليوم كله أمام شاشة الحاسوب، يعود معها آخر النهار منهك الجسد والروح، بل أراد عملا حرا، يأتي به إلى المنزل، أو إلى المقهى وهو يشرب الشاي أو القهوة، أو إلى الحديقة وهو يستمتع بالطبيعة، متمكن جدا من تخصصه لذلك عروضه لا تنتهي.

كلما أرسلوا له عرضا أول ما يشترط أن يمنحوه الوقت الكافي للاشتغال عليه، بدعوى أنه يحب الإتقان، لكن في الحقيقة قد ينتهي منه في بضع ساعات متقنا، يحتاج الوقت لأنه كلما شحن بأفكاره التي لا تنتهي احتاج لمدة كي يعود لنسق العمل.

هو الآن في الثلاثينات من العمر حسب والدته.

لا يزال يذكر ما حدث يومها، لما سمع شجارهما، وقد اعتاد على اختلاس النظر من فتحة الباب، وقع حينها ما لم يكن في الحسبان، حمل الأب شماعة نحاسية فشجَّ بها رأس أمه، لتسقط مغميا عليها غارقة في دمائها.

لم يحتمل المشهد، فتح الباب متجها نحو أمه، نظر لدمائها السائلة على الأرض، نهض فقبض راحة يده، أخذ يضرب فخذ أبيه بكل ما أوتي من قوة، لكن الأب دفعه ليهوي قرب أمه، أجهش بالبكاء مناديا عليها، لكن دون أن ترد عليه.

قام مسرعا ليطلب الاستغاثة من جيرانه، حملوها للمستعجلات، ولو تأخروا قليلا لفقدت حياتها.

كبر والفراغ كبر معه، اتسع شيئا فشيئا حتى احتضن حياته كلها، إلا أن ذلك لم يمنعه من تكملة دراسته والتفوق فيها.

لا أصدقاء له، يميل للوحدة التي كلما تعمق فيها أرجعته لماضيه الأليم.

جلس في الحديقة بعد توقُّفِه عن العمل، تقدم نحوه شاب في نفس عمره، جلس بجانبه بعد أن سلم عليه، رد السلام دون أن ينظر نحوه.

بقي على تلك الحالة حتى قال الشاب :

- مهما يكن الإنسان حزينا فلا بد أن يجد الفرح فيه، المهم أن يبحث عن منفذ يخرجه من البؤس.

سمعه فتنبه، التفت فرآه ضاحكا، تأمله قليلا، ثم عاد لينظر أمامه :

- أنت لا تعرف هذا الحزن الدفين الذي بداخلي، لقد كبر معي ويصعب الخروج منه، لقد عشته بكل مشاعري، لذلك فقد استقر بداخلي ووجد له مكانا عظيما مني .

- ولكن لكل مشكلة حل.

- لا حل أجده إلا الصبر إلى أن تنقضي حياتي.

- الخاسر حينها أنت.

نظر إليه مندهشا :

- ماذا تقصد ؟ ومن تكون ؟

- صديقك أمجد، ولا أقصد إلا مساعدتك، لقد كنت ألاحظ مجيئك المتكرر إلى هنا، ترددت كثيرا حتى قررت التقرب منك، لا يمكنني أن أتركك وحيدا.

- شكرا لك، إنك إنسان حقيقي عكس أولئك المزيفين.

- هل تقبل صداقتي ؟

قام جاد، تهلل وجهه، مد يده لمصافحته :

- أنت من اليوم صديقي.

وجد جاد أخيرا صديقا يحادثه، يشكو له همه، يجلسان في الحديقة معا، يتنزهان معا، حتى أنه يقضي معه وقتا طويلا في المنزل.

وفي يوم، التقى جاد بأمجد في طريقه للحديقة، تملكه غضب شديد لما ذكر والده، فربت أمجد بيده على كتفه :

- لا عليك اهدأ، يجب أن تنهي هذه المعاناة، فلن تتحملها أكثر في قابل الأيام.

شد رأسه وكأن حالة صرع تعتليه :

- لا أدري ما العمل! كل شيء يذكرني به، الندب الذي في رأس أمي، الشماعة، جيراني الذين ركضت إليهم طالبا الاستغاثة.

صمت بعدها وقد تشنجت أعصابه، وخرج الزبد من فمه، واحمرت عيناه.

- إذا الحل بين يديك، أن تستأصل الذكرى من جذورها، كل ما يذكرك به تخلص منه.

التفت ببطئ ليرى صديقه أمجد وهو يرمقه بنظرات غريبة، ولو أنه قول غامض لم يعلم بعد مغزاه :

- ماذا تعني ؟

- كلما رأيت من يذكرك بماضيك تخلص منه.

- ولكن كيف !

- تخلص من تلك الشماعة، وقل لي بعدها بم شعرت ؟

افترقا وكلام أمجد لم يترك أذن جاد ولو للحظة، مر من أمام غرفة والدته، فمن وقت الحادث لم يلجها، وقف أمامها طويلا، لم يشعر حتى فتح الباب، إنه والده يحمل تلك الشماعة، وأمه المسكينة تصرخ وتستنجد، هي الآن تهوي من يد أبيه نحو رأس أمه، تقدم جاد مسرعا، تلقف الشماعة ورماها من النافذة، نهج كالهارب من الخطر، لكن سرعان ما شعر براحة غريبة، أشرقت الابتسامة من وجهه، شعر بخفة وكأنه رمى مع الشماعة بعضا من ثقل ماضيه.

التقى بأمجد، لم يظن يوما أن يكون التخلص من تلك الأداة سبب فرحة لم يذقها، فكم فكر في المشكلة ولم يخطر بباله التفكير في الحل، حتى أشار صديقه الجديد لذلك.

- لا يمكن وصف ما أحسست به وأنا أمسك بالشماعة وأرميها بعيدا، إنه تصرف بسيط، لكني عجزت عن فعله، وأنت أتيتني كالمُخَلِّصِ.

- لقد أخفيت جزء بسيطا من ماضيك، ويلزمك أخذ خطوات أكثر جرأة.

- كيف ؟

- هو خيار صعب، ولكن ستحس معها كأنك ولدت من جديد، أن تقف في وجه أبيك، وتمنعه من فعله ذاك، وأن تلومه ليعلم أنه المذنب.

قام أمجد مستعدا للرحيل، توقف فاستدار :

- فكر بالأمر، وكن جريئا.

ابتعد أمجد آخذا معه أعين جاد، هام مع الشعور الذي رافق رميه الشماعة.

لم ينتظر كثيرا، دخل للدار، لم يتمالك نفسه حين رأى والده، أمسك يده بشدة، استجمع قواه، ثم صاح:

- لن أسمح لك بضرب أمي، إنك مخطئ وعليك أن تعترف بذلك.

- بني، ما بك ؟.

- لا شيء أمي، على أبي الاعتراف لك أنه المذنب.

أذرفت الأم دموع الأسى:

- يا بني، كفى، لا أريد تذكر الحدث ؟

- إنني الآن سعيد جدا، ولولا صديقي أمجد ما ارتحت.

- من هو أمجد؟

- إنه صديقي الذي تردد معي إلى المنزل كثيرا، ألم تلتقيني معه من قبل ؟

ارتعش جسدها وقد ضاق صدرها كأن الجبال قد ألقيت عليه، أو لربما كأنها ولادة تمنت لو أنها تمت، مع ارتفاع جفونها أبصرت السقف ..

حملت الهاتف، فُتح الخط، لم تنتظر كثيرا حتى صاحت في السماعة:

- لن أسامحك على ما فعلت بي، وبابنك جاد.

رد زوجها وقد كان صوت آلات المصنع مرتفعا:

- ألن تتجاوزي الأمر! سأعاود قسمي كما المعتاد، أقسم أنني لم أضربك بالشماعة.

لا تزال تعتقد أن الشماعة لم تسقط وحدها بل زوجها من ضربها بها، ومن فزعها أُجْهِضَ ابنها الذي أرادت له اسم جاد.

وتعتقد أيضا أن ابنها شَاهَد وهو في بطنها كل ما حدث.

البصير

الجو صحو جعل العصافير تتراقص مغردة، والأشجار خضرتها وضاءة، آه لو كنت صاحب معجزات لدعوت الله أن أضع يديَّ على عينيك فترتد بصيرا، لكن ما بيدي حيلة إلا أن أصف لك بالتدقيق المشهد عسى مخيلتك تصور لك ما أرى.

بدأ في الوصف لكنه سرعان ما سكت لما سمع صوتا من صدره كأنها حشرجة الموت، قال بصوت خافت : ما بك صديقي لم أقصد الإساءة، لكنني صادق فيما طلبت، ليتني أستطيع مساعدتك فنعمة البصر عظيمة ولا أرجو أن يفقدها أحد.

قام الشاب الضرير، غادر دون أن يودع الصديق الذي التقاه صدفة في طريقه للمكتبة، مازال الحزن مخيما عليه ويتردد في سمعه ما قال، وما قالت المكلفة بالمكتبة في أول زيارة له:

- كتبكم لا زالت قيد الشحن لم تصل بعد.

- لا إشكال عندي، أنا أقرأ أي كتاب كيفما كان.

- نعم، ولكن لا يتوفر أي كتاب الآن.

ظن حينها أن المكتبة فارغة تماما.

وليس فقط ما حدث في المكتبة ما استرجع من ذكريات لم يلق لها بالا، رغم أنها قد ولدت له شكا سرعان ما يتجاوزه لما استقر في عقله منذ صباه، فحتى والده وهو يتابع مباراة كرة القدم قال : على اليمين مرر الكرة بسرعة، لكنه لما أحس بانتباه ابنه أردف : هذا ما سمعت من المذيع.

- لكنني لم أسمعه.

- ربما لم تركز معه جيدا، المهم لنكمل المباراة.

ومثل هذا الكثير الكثير.

وصل للمنزل وعلى غير عادته لم يلق التحية على أسرته، المنتظرين قدومه من أجل وجبة الغذاء.

لاحظوا أنه في حالة حزن شديد، نادته أمه للجلوس لكنه لم يأبه لها، وكذلك فعل الأب دون استجابة.

وفي لحظة رمى عكازه وطاف حول المكان، هدأ قليلا ثم صاح :

- أين عكازك أبي، وأنت يا أمي، وأنتما أخواي ؟

نظر كل منهم للآخر باستغراب، وقال أبوه : ماذا تقصد بني ؟

- أنتم لستم عميانا أليس كذلك ؟

هنا خيم الصمت ولم ينبس أي منهم ببنت شفة.

وقف ثابتا يتردد صدى صوت أمه وهي تجيبه عندما سألها " لم الظلام حولي ؟"

نحن كلنا لا نرى إلا الظلام ولست وحدك، ها هو والدك يؤكد لك ما قلت.

- ما بال ابني بم يفكر ؟

- أخبره لكي يصدق أننا جميعا لا نرى شيئا.

ابتسم حينها وقال :

- كفى لا يمكنكم الكذب علي.

أحسا كأن الشجا في حلقيهما، لم يتفوها بكلمة ولم يحبسا دمعهما فانهمر في صمت.

انتبه لاقتراب أخيه منه، وضع يده على كتفه محاولا تهدئته، دفع يد أخيه عن كتفه وجثا على ركبه، دوار شديد أنهكه حتى فقد الوعي.

هو الآن يرى، أمه جالسة في غرفتها حائرة :

" هل أخبره بما كتمت عنه، أخاف أن تصدمه الحقيقة ".

إنها تبكي لكن لم ؟

" سأنتظر حتى يكبر ليفهم سبب ما فعلت، أريده فتى يحيى بشكل عادٍ، مجتمعنا لا يرحم من به عاهة أو علة، سأصبر قليلا حتى أخبره ".

تعال صغيري سأخبرك بحكمة لا تنساها " إن العمى عمى البصيرة لا العين ".

شعر بصدره وكأنه يتسع، وعيناه الداخلية قد تفتحتا.

صحا من غيبوبته القصيرة على لمس والديه يده، وقبلات من أخويه على خديه، وهو يبصرهم وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة كأنه لتوه عرف الحياة.

مفارقات

حافلات كثيرة تركن قرب تلك القرية الموشحة ببياض الثلوج.

ينزل الركاب على عجل يلبسون ثياب الصوف، وينتعلون الأحذية الدافئة.

يتقافز الأطفال فرحا، فالكل انتظر بفارغ الصبر هذا الوقت.

يجلس الطفل القرفصاء، ضاما فخذيه إلى صدره ليدفئ ذاته التي تكاد تتجمد، ينظر لأمه المنهمكة في إيقاد النار ببعض الحطب الذي جمعته بشق الأنفس، يداهما ووجههما تشققا بالبرد وقد احمرا.

سأل الطفل أمه سؤالا بريئا:

- لماذا لا نستمتع بالثلج كما يستمتع به هؤلاء؟

أشاح ببصره عنها لما لفحته حرارة تنهدها، شخص نظره في صمت نحو السياح.

إن فهم الحياة أصعب من عيشها، فهم أن تركيبتها مبنية على الاختلاف الفكري، النفسي، السلوكي، والاجتماعي، وألا فضل للإنسان على آخر إلا بالتقوى ميزان التفاضل الحق، وأن ما سيحصل عليه الواحد منا هو القدْر الذي كتب له.

فمن رضي ارتاح، ومن سخط تعب.

إن الحياة كلها مفارقات.